أضواء على شخصية كيم إيل سونغ من خلال ذكريات المقاتلين الحية

بقلم: أبو هشام
مقاتل في ج.ش.ت.ف

تحاج الكتابة عن الزعماء الكبار الى جهد دؤوب وبحث لا ينقطع يلم كل اطراف حياتهم الماضية والحاضرة ، وذكريات معاصريهم وأقرب المقربين اليهم ، بالاضافة الى بحث متعمق يشمل كتاباتهم واقوالهم وافكارهم وممارساتهم العملية .

ولنا هنا بصدد كتابة سيرة حياة هذا الطل الذي قاد شعبه خلال صراع مرير ضد الاستعمار الياباني والعدوان الامريكي من بعده . ولكننا نود العودة الى ذكريات العديد من المقاتلين الذين شاركوا كيم ايل سونغ نضاله عندما كان يقود حرب العصابات ضد اليابان في جبل بيكتو الحصين ووسط هضاب شانغ باي وليم جيانغ وموسونغ الكئيبة ، وعلى ضفاف نهري آمنوك ودومان ، لنلتقط خلال هذه العودة بعض ملامح شخصية القائد المقاتل ، ولنبحث بصبر وشغف كتابات ماسلي الجبال عن بعض الحمل التي تمكس امامنا بكل صفاء صورة هذا الانسان الكبير .

ان ذكريات المقاتلين تبقى حية مثات السنين ، وهي تستمد اهميتها من قسوة الاوضاع التي يعيشها كاتبها . فقسوة ظروف القتال ، وصعوبة المعاناة اليومية ، وخطورة العيش تحت النار وسط الخطر ، عبارة عن حجر محك يكشف معادن الرجال ، ويعرق كل الانتمة ، ويصبح القائد تحت نظرات رجاله مجردا من كل المظاهر المصطنعة المخادعة . هذا هو سر اهمية ذكريات المقاتلين ، وهذا هو السبب الذي حملنا لنلتفت اليها لنركب من الخطوط المتقطعة هنا وهناك صورة حية لشخصية فذة . دون ان نتعرض خلال رسم هذه الصورة الى الغوص في طرح افكار كيم ايل سونغ ونظرياته في الوحدة الوطنية والمسألة الكلاحية ، والبناء الاشتراكي ، ونظرية « روتشه » المبنية على الاعتماد على النفس في الثورة والبناء وتطبيق النظريات بديناميكية بعد ملاءمتها مع الواقع .. الخ والتي تعتبر كلها ، اسهاما خلاقا في شرح الفكر الماركسي وتطبيقه على الواقع الكوري، فلنا بالسبة لهذه المواضيع عودة في مجال آخر .

ان أول ما يلفت النظر في شخصية كيم ايل سونغ وجود المفكر الى جوار رجل العمل : ففي عام ١٩٣٦ وخلال المسيرة الطويلة من تامونتو الى توتكانغ كان جهد نفسه في التفكير العميق حول مطورات الثورة والمهمة الاستراتيجية المباشرة ومختلف المواضيع النظرية الاخرى محاولا وضع المطلقات العسكرية ، وصياغة الاسس النظرية اللازمة لاذكاء شعلة النضال :

« لم يكف الرفيق كيم ايل سونغ لحظة واحدة اثناء مواصلة المسيرة المحفوفة بالمصاعب عبر الجبال المتوعرة عن التفكير العميق في هذه المسائل واعداد الخطة لتحقيقها » ... « وحتى عندما كان المقاتلون يسكرون في احدى الغابات الكثيفة حيث تزار العاصفة الثلجية ، ويغفون في الخيام كان الرفيق يجلس وحيدا قرب نار المعسكر ويقضي الليل في كتابة ما نضج من تأملاته . وكان لا يفتا يعمل بحمية وطنية رائعة ليصقل بلا انقطاع كل كلمة ، ويعيد النظر في كل جملة ، لكي يرسم لوحته الجبارة عن بعث الوطن » (١)

بيد أن طول التفكير في القضايا النظرية لم يجعل منه مفكرا منعزلا في برج عاجي يصنع الافكار ويطلب من الاخرين تنفيذها . فلقد نفى كيم ايل سونغ دخل عمل ديناميكي ، يمارس العمل، ويتعلم من المعاناة اليومية دروسا بليغة، ثم يحلو الى نفسه للدراسة والتأمل والتنظير مهما كانت ظروف العمل قاسية ، مستفيدا من « فترات الراحة » او « فترات الهدوء بين اشتباكين عنيفين » (٢)

وهكذا استقى الفكر من العمل امثلة حية ، واحد العمل من الفكر دفعا ووسوحا ، وامتزج الفكر مع العمل لخلق شخصية القائد .

والصفة الثانية التي تسترعي الانتباه هي اندفاعه وفيادته للعمليات العسكرية بصورة مباشرة . ويمكننا أن نقول بأن كيم ايل سونغ هو احد القادة الثوريين الحقيقيين الذين كانوا يخططون العملية ويشاركون في الاشراف على اعدادها ، ثم يشتركون بها في خط النار الاول. ففي حريف عام ١٩٣٩ كان ولل بقيادة كيم ايل سونغ يحاول عبور نهر تاشاهوا عندما فاجأته نيران رشاشات اليابانيين ،

« فما ان سمع المارشال صوت اطلاق النار من الصدو حتى اصدر ، وقد اشهر مسدسه ، الامر بالاستيلاء على التل اقتحاما ، واعلنت الابواق الهجوم ، واندفع المحاربون كالسيل لاقتحام التل مطلقين صرخات الحرب » ... « وفي اوج المعركة صعد كيم ايل سونغ على صخرة تقع في منحدر الجبل وقاد المعركة من هناك » (٣)

وتتكرر اشارة المقاتلين في مذكراتهم الى اشتراك المارشال الشخصي في اعداد العمليات وخوض غمارها . فبذكر آه بيك ريونغ منه الحديث عن معركة يوتشنو في ٢ حزيران ١٩٣٧

« وعشية الهجوم في داخل البلاد وضع الرفيق كيم ايل سونغ بناء على المعلومات المختلفة التي جمعتها مصادر الاستطلاع خطة دقيقة للمعركة بشان المسافة التي ستقطع، وتوقيت عملية الوحدات ، واهداف الهجوم ووسائله ، وترتيب تشكيلات المعركة ، والعمل السياسي بين الجماهير الخ . وحدثني بومذاك رفيق من الوصفاء ان الخيمة التي كان مارشالنا يقيم فيها ظلت مضاءة حتى الفجر خلال عدة ليال متتالية . واخيرا قبل يوم الهجوم التاريخي في داخل البلاد .. فزحفت في الوطن فرقة مؤلفة من مائة وخمسين رفيقا جرى انتقاؤهم من اللواء السابع واللواء الثامن ومن سرية الحرس . وكان يقود هذه الحملة المارشال كيم ايل سونغ نفسه » (٤) ... « وفي نهار ذلك اليوم أمر المارشال المحاربين بأن يستريحوا اما هو فلم يذق طعم الراحة مطلقا بل انصرف الى اعداد المعركة الوشيكة اعدادا تاما » (٥) ، ويشير المناضل القديم باك دو كيونغ الى هذا الامر عندما يقول **« ان الانتصارات المتتابعة التي احرزناها تحت القيادة المباشرة للرفيق كيم ايل سونغ في معارك عديدة كبيرة وصغيرة منها معركة جيابكو عززت ثقة مقاتلي حرب العصابات وسكان القاعدة بالنصر » (٦)**

واستشهادات المقاتلين في هذا المجال عديدة لا تحصى . وتدل كلها على أن المارشال كان يقاتل الى جانب رجاله خلال الصراع المرير شد قوات الغزو اليابانية في الثلاثينات ومطلع الاربعينات تماما كما وقف الى جانبهم في عام ١٩٥٢ على المرتفع « ١٢١٠ » خلال الصراع لصد قوات الغزو الامبريالية الامريكية .

نحن نعرف ان حرب العصابات تعتمد من جملة ما تعتمد على الدوافع الفكرية والمعنوية وعدد من التكتيكات الحادقة والصفات القتالية والفصائل الحربية لتعويض جزء من النقص العددي المادي، وادخال تعديل مندرج على ميزان القوى . ومن اهم الفصائل الحربية التي لا بد لقائد العصابات من التحلي بها الجراة ، والمرونة ، والتصميم ، والمبادهة ، والتوقع ، والروح التعرضية . وتتحلى حيوية كيم ايل سونغ وجراته في معارك العابة التي كان يشارك بها . ولقد اشاد دجان مون سوب بها عندما وصف تجمع قوات كيرة من الجيش الشعبي العادي في الصف الثاني من عام ١٩٣٩ بغية تنشيط العمال والاودية في منطقة هيلونغ بحثا عن العصابات .

« في مثل هذه الظروف كان من الصعب جدا تصور امكانية اخذ المبادرة من العدو . ولكن الرفيق كيم ايل سونغ اكد انه يجب في مثل هذا الوقت العمل باكبر قدر من الجرية والجراة ، وقام بالفعل بعمليات بارعة لتحجر في الاستيلاء على نقاط العدو الضعيفة كما يسدد اليه ضربات سريعة ومحكمة » (٧)

كما تتجلى بالقرار الذي اتخذه في عام ١٩٤٠ بتسديد ضربة قاتلة للامبريالية اليابانية، واعادة الثقة للشعب الكوري المراوح تحت نير الاستعمار وذلك بالعودة نحو الحدود ومنطقة موسان حيث يحتشد العدو بقوات متفوقة بدلا من الانسحاب الى مناطق امنية بعيدا عن العدو لاعادة التنظيم والاعداد . ويتحدث باك سونغ نفسه عن صلابة كيم ايل سونغ وتصميمه واختياره اصعب الطرق والسير بعد مؤتمر تانيزو عبر غابة الحراب لتخليص الحمومة الكورية الثانية من ملاحقة القوات اليابانية ، ثم يقول :

« وادركنا مرة اخرى وبكل وضوح ما يكنه الرفيق كيم ايل سونغ بناء على المعلومات المختلفة التي جمعتها مصادر الاستطلاع خطة دقيقة للمعركة بشان المسافة التي ستقطع، وتوقيت عملية الوحدات ، واهداف الهجوم ووسائله ، وترتيب تشكيلات المعركة ، والعمل السياسي بين الجماهير الخ . وحدثني بومذاك رفيق من الوصفاء ان الخيمة التي كان مارشالنا يقيم فيها ظلت مضاءة حتى الفجر خلال عدة ليال متتالية . واخيرا قبل يوم الهجوم التاريخي في داخل البلاد .. فزحفت في الوطن فرقة مؤلفة من مائة وخمسين رفيقا جرى انتقاؤهم من اللواء السابع واللواء الثامن ومن سرية الحرس . وكان يقود هذه الحملة المارشال كيم ايل سونغ نفسه » (٤) ... « وفي نهار ذلك اليوم أمر المارشال المحاربين بأن يستريحوا اما هو فلم يذق طعم الراحة مطلقا بل انصرف الى اعداد المعركة الوشيكة اعدادا تاما » (٥) ، ويشير المناضل القديم باك دو كيونغ الى هذا الامر عندما يقول **« ان الانتصارات المتتابعة التي احرزناها تحت القيادة المباشرة للرفيق كيم ايل سونغ في معارك عديدة كبيرة وصغيرة منها معركة جيابكو عززت ثقة مقاتلي حرب العصابات وسكان القاعدة بالنصر » (٦)**

واستشهادات المقاتلين في هذا المجال عديدة لا تحصى . وتدل كلها على أن المارشال كان يقاتل الى جانب رجاله خلال الصراع المرير شد قوات الغزو اليابانية في الثلاثينات ومطلع الاربعينات تماما كما وقف الى جانبهم في عام ١٩٥٢ على المرتفع « ١٢١٠ » خلال الصراع لصد قوات الغزو الامبريالية الامريكية .

نحن نعرف ان حرب العصابات تعتمد من جملة ما تعتمد على الدوافع الفكرية والمعنوية وعدد من التكتيكات الحادقة والصفات القتالية والفصائل الحربية لتعويض جزء من النقص العددي المادي، وادخال تعديل مندرج على ميزان القوى . ومن

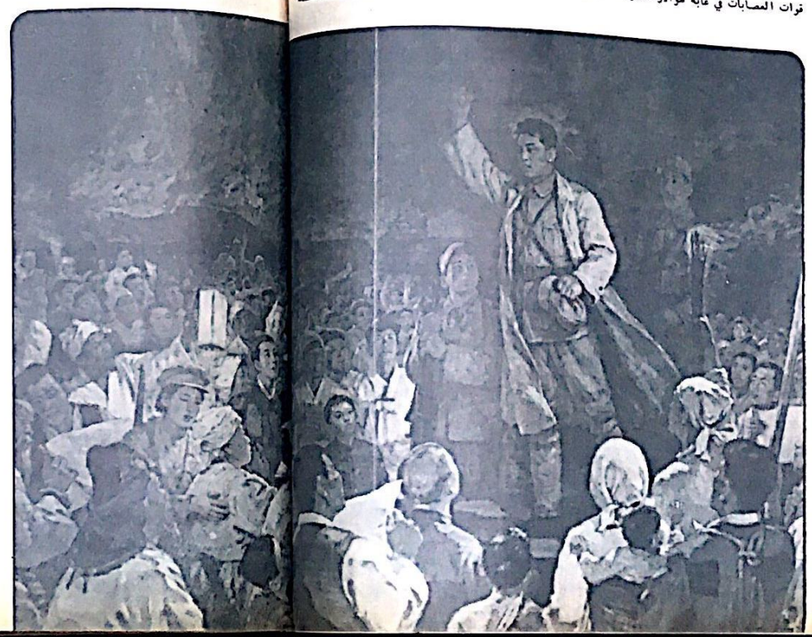

اليابانيون بطاردونها ، عندها اصدر كيم ايل سونغ الى قائد اللواء أوتاي ريونغ الامر التالي :

« ان العدو يلاحقنا عن قرب ، فلذا تركتم رفاق آخرين انذهبوا هذه الليلة وتضربوه ضربة قاسية » (٩)

وفي الايام الاخيرة من شهر آذار ١٩٤٠ كانت القوات الكورية تتحه نحو تاماليوكو والصلود في اعقابها ، فجمع كيم ايل سونغ قادة الالوية وطرح عليهم خطة العمليات المقبلة بقوله :

« في هذا اليوم يجب علينا ان نوجه ضربة قاصمة الى هؤلاء الانذال الذين يطاردوننا لاننا اذا تركناهم يتعقبوننا الى موسان تصدر علينا الهجوم على تشانغ بيونغ ، وحتى في حالة مهاجمتنا لهذه المدينة فانه يصبح من العسير علينا ان نتسحب منها بسهولة وهكذا فان علينا ان نبيد قبل كل شيء هؤلاء الذين يطاردوننا حتى لو اضطررنا الى تاجيل مسيرتنا نحو منطقة موسان » (١٠)

وهكذا تتجلى روح كيم ايل سونغ التعرضية خلال قتال تراجعي يسدد الضربة تلو الضربة روح تفوق العدو وشراسته واصراره على المطاردة ، كما تتجلى بكل وضوح في الدفاع الديناميكي الذي لا ينتظر هجوم العدو بسلبية بل يتصدى له بمطاردة تضرب مؤخراته ومراكز قيادته ، متبعة تكتيكا عرف بانه تكتيك « ظهور الجي واختفاء شبحاني » ويذكر باك دوكيونغ عند وصف الدفاع عن قاعدة سو دابغ تشونغ ضد هجمات اليابانيين المكررة التوجيه الذي اصدره كيم ايل سونغ بخصوص المعركة المنظرة ويقال فيه :

« ... ان الاقتصار على المعارك الدفاعية في منطقة ضيقة ضد عدو يشن هجوما متواصلا انما يعني تحقيق رغبة العدو .. وللخروج من هذا المازق ينبغي تقسيم قواتنا الى قسمين . ويقوم القسم الاول بشغله مع بقائه هنا ، بينما يسلل القسم الثاني الى الاقليم الذي يحتله العدو . ان مؤخرة العدو مكشوفة عمليا فقد عبا العدو معظم قوات الشرطة وقوات الدفاع الذاتي ليمكن من مهاجمة قواعد حرب العصابات على نطاق واسع وبآن واحد في جميع مقاطعات منشوريا الشرقية . كما انه لا يتوقع في الوقت الحاضر مغادرة قوات الثوار لقاعدتها ، والتسلل وراء خطوطه.. وبالاستفادة من هذا الوضع ينبغي ان نوجه للعدو ضربات مفاجئة .. » (١١)

وكيم ايل سونغ - كقال قائد نوري يهندي بالمبادئ الماركسية الليبينية - يجمع القيادة العسكرية الى الوعي السياسي . وكما يقوم بقيادة المعارك فانه يقوم عند اللزوم بدور يكن مقترنا بالوعي السياسي ، لذا نراه يردد على مسامع المقاتلين باستمرار جملته الشهيرة **« ان الدراسة هي مهمة الثوريين الاساسية »** . ولكن هذه الجملة لم تكن بالسبة له مجرد شعار يسل كانت دليل عمل يدفعه الى دراسة حالة المقاتلين الفكرية ، وتخصيص المثقفين اللازمين لمساعدتهم، وتعيين دروس متتابعة لمحو الامية . مع الاهتمام شخصيا بحث المواضيع السياسية وصاقشتها **« وكان الرفيق كيم ايل سونغ بعد كل درس عن احدى القضايا يعطي بعض المواضيع التي يجب على كل واحد ان يدرسها او يناقشها »** (١٢)

ويلح على ضرورة استخدام العبارات والكلمات المفهومة المستمدة الى امثلة واقعية بنشاطه مع بقائه هنا ، بينما يسلل القسم الثاني الى الاقليم الذي يحتله العدو . ان مؤخرة العدو مكشوفة عمليا فقد عبا العدو معظم قوات الشرطة وقوات الدفاع الذاتي ليمكن من مهاجمة قواعد حرب العصابات على نطاق واسع وبآن واحد في جميع مقاطعات منشوريا الشرقية . كما انه لا يتوقع في الوقت الحاضر مغادرة قوات الثوار لقاعدتها ، والتسلل وراء خطوطه.. وبالاستفادة من هذا الوضع ينبغي ان نوجه للعدو ضربات مفاجئة .. » (١١)

وكيم ايل سونغ - كقال قائد نوري يهندي بالمبادئ الماركسية الليبينية - يجمع القيادة العسكرية الى الوعي السياسي . وكما يقوم بقيادة المعارك فانه يقوم عند اللزوم بدور

المقاتلين ، كدقته في اعداد الدراسات العسكرية ومهارته في التدريب ، وتفوقه في الرماية ، وبراعته في استخدام الاسلحة على مختلف انواعها . لذا فاننا مضطرون الى تجاوزها والانتقال الى اللمحات الانسانية الكامنة في شخصية القائد . فهو متواضع ، فيحي ، يحب وطنه ، الى درجة القدسية ، ويعامل رجاله ورفاق الطبقة بأزرة نادرة وعطف صحيح . ففي الانسحاب الذي تلى معركة يوتشنو « **اشرف المارشال على عبور المحاربين تحت جنح الظلام ، وبعد ذلك عبر هو النهر آخر من عبر ، فقد اعتاد ان يداوي ويرعى محاربيه وحيطهم بحب ابوي** » (١٧).

ويصف باك سونغ تشول تحوه مندما كان للالحاق بقوات كيم ايل سونغ رغم سيرته نحو تاييز صعوبات الطبيعة ومخاطر العدو فيقول :

« كان الشهور الذي نحسه ونحن ذاهبون الى جوار الرفيق كيم ايل سونغ هو ذلك الشهور الطافح حماسة الذي ينتاب ابنا محبة للرفيق كيم ايل سونغ لرجاله عظيمة وعميقة بصورة لا حدود لها » (١٨)

ويذكر باك هاك ريم (أحد جنود الارتباط التابعين للقائد) الصعوبات الكبيرة التي جابهتها مسيرة القوات الكورية في شتاء ١٩٣٨ للتخلص من مطاردة العدو . ويحدثنا في « **كيل من طحين الارز المحمص** » عن الجوع الذي تعرض له الثوار خلال عدة أيام بسبب نقص المؤونة ، ومحاولة مع رفيقين من جنود الارتباط تأمين بعض طحين الارز المحمص للقائد فيقول : « **لم يكن بهمنا نحن جنود الارتباط ان يعضنا الجوع ، فقد كنا نتألم قبل كل شيء لعدم استطاعتنا تقديم شيء الى الرفيق القائد الاعلى ليتناوله .. وذات صباح ، كنا ننهم باستراحة بعد مسافة من السير ، قدمنا له طحين الارز المحمص الذي جمعناه من حقائبنا** » تم يذكر كيف رفض المارشال تناول الطحين الا بعد اقسام الكمية الضئيلة المحمة مع جنود الارتباط الثلاثة ، كما يصف شعور الغبطة الجارف الذي غمره ورفاقه « **كيف يمكن مقارنة ذلك بالحنان غير المحدود الذي كانت تنطوي عليه كلماته الموجهة الينا ؟** »

ويبلغ اكتشافنا لعمق انسانية المارشال ذروته عندما نقرأ حديث كيم أوك سون عن معاملته الحانية لها ولرميلتها كيم كوم سون عندما كانتا طفلتين صغيرتين من منطقة الاطفال ، والتحقتا بقاعدة العصابات في وانغ تشونغ . وتقول كيم أوك سون :

« استقبلنا الرفيق كيم ايل سونغ بفرح . واذ رأى صغر سن كوم سون ووداعتها هتافها وهو يداعب شعرها على المسيرة الطويلة التي قطعتها » (١٩)

عظيم أن يكون المرء قائدا عسكريا وسياسيا ، وأن يعف رغم كل أعماله الجسام على باب مكان اقامته في مدخل وادي ليشوكو ليداعب شعر طفلة صغيرة لا تتجاوز العاشرة من عمرها، فيتناثر شعرها بمرح كشلال الحنان الدافق الذي يجرف المارشال .

« وفي يوم من خريف عام ١٩٣٣ والظلام يرخي اسداله ، ارسل الرفيق كيم ايل سونغ الذي كان يحيطنا على الدوام يجب لا ينضب وعطف عميق جندي ارتباط لدعوة اعضاء منظمة الاطفال » (٢٠)

نعم ، وهو لا يدعوهم فقط ، بل يهتم بهم كأشخاص كبار ، فهو يرى فيهم مستقبل البلاد وآفاق الثورة ، ويعرف ماذا يعتمل برأس هؤلاء الماصيين الصغار فقد بدأ النضال منذ أن كان في الخامسة عشر من عمره . وينعكس اهتمامه بانتظار قدومهم بشغف « **كان الرفيق كيم ايل سونغ ، ووجهه منبسط الاسارير ينتظرنا في ظل شجرة مزروعة في الفناء . أمسك بيد كوم سون التي كانت تسير بوداعة على راس طابورنا وسألها مفصلا عما فعلته حتى الان وما اذا كانت بصحة جيدة** » (٢١) ... ثم يبقى مع الاطفال رغم مشاغله ليحو عليهم ويسرعاهم ، ويقوم بوداعهم بنفسه « **وبعد ان تفحص جميع حقائبنا وضع في كل منها ٣ كيلو من طحين الارز المحمص وبعض علب الكيريت ثم ساعدنا بنفسه على حمل حقائبنا على ظهرنا** » (٢٢)

هذه هي بعض ملامح شخصية القائد الذي تسلح بوطنيته الصادقة وايمانه المطلق بشعبه ، وحمل اللاح والعقيدة الماركسية ـ اللينينية ، وسار على هدى نظرية « روتشه » ، وقاد الشعب خلال كفاح طويل ضد الاستعمار الياباني والعدوان الامريكي ، حتى انتصر هذا الشعب رغم ضخامة قوى العدوين الامبرياليين وشراستها ، وبدأ يبني الاشتراكية في شمالي البلاد ، وبعد العدة لتحرير الشعب الكوري المستقل في الجنوب ، وتحقيق الوحدة الكورية السلمية .

ان الشعوب وحدها صانعة التاريخ ، والحالة الجماهيرية ووجود الحزب الطليعي والظروف الموضوعية الاخرى شروط ضرورية لتفجير الثورات وانتصارها ، واستمرارها بعد ذلك في عملية البناء دون انحراف او تعثر . ولكن القيادة الاساسية وصفاتها الذاتية امر هام لا يمكن تجاهله .. انه لا يفعل وحده كل شيء ، ولكنه يؤدي في كثير من الحالات الى دفع عجلة التاريخ او عرقلة مسيرتها . وهذا هو السبب الذي يدفعنا الى قراءة سير العظماء والسير على خطاهم .

---

(١) ريم تشون تشو ـ الخطة العظيمة لبعث الوطن
(٢) ـ المرجع نفسه
(٣) كيم ميونغ هوا ـ في ذكرى الرفيقة كيم جونغ سوك
(٤) آه بيك ريونغ ـ معركة يوتشنو
(٥) المرجع نفسه
(٦) باك دو كيونغ ـ القوة الناشئة عن النضامن
(٧) دجان مون سوب ـ الدفاع عن راية الثورة حتى النهاية
(٨) باك سونغ تشول ـ لانه كان على رأس الثورة
(٩) دجان مون سوب ـ الدفاع عن راية الثورة حتى النهاية
(١٠) المرجع نفسه
(١١) باك دو كيونغ ـ القوة الناشئة عن النضامن .
(١٢) دجان مون سوب ـ الدفاع عن راية الثورة حتى النهاية
(١٣) هان ايك سو ـ الدلراسة هي المهمة الاساسية للثوريين
(١٤) المصدر نفسه
(١٥) المرجع نفسه
(١٦) ريم تشون تشو ـ توجيهات الرفيق كيم ايل سونغ بالنسبة للمطبوعات الثورية
(١٧) آه بيك ريونغ ـ معركة يوتشنو
(١٨) باك سونغ تشول ـ لانه كان على رأس الثورة
(١٩) كيم أوك سون ـ عضوة حقيقية في منظمة الاطفال
(٢٠) المرجع نفسه
(٢١) المرجع نفسه
(٢٢) المرجع نفسه